الأنشطة الفكرية والاجتماعية والدينية لأهل الذمة في مصر خلال العصر الفاطمي الأول

د. منى حسن حدود
كلية الآداب بالزاوية – جامعة الزاوية

ملخَّص البحث:

لعب أهل الذمة (الأقباط واليهود) دوراً مهماً في مختلف الأنشطة الفكرية، والاجتماعية، والدينية، فكان لهم النشاط الكبير في مجال تأليف الكتب باللغة العربية، فكثرت المؤلفات، وكانت بيوتهم مكاناً لاجتماع العلماء، والأدباء، والشعراء، والفقهاء.

وكان لأهل الذمة عادات وتقاليد وأعياد واحتفالات خاصة بهم، وقد شارك الخلفاء الفاطميون وعامة شعب أهل الذمة في أعيادهم واحتفالاتهم الدينية، ويسمحون لهم ببناء الكنائس والأديرة الجديدة وتدمير القديم، ومصادقة الرهبان في الأديرة، فكانت سياسة الدولة الفاطمية الاعتماد الكبير على أهل الذمة فتمتع هؤلاء بمكانة كبيرة لدى الخلفاء، ممَّا جعلهم يقدِّمون خدمات جليلة لبني ملتهم، والاهتمام بمصالحهم.

وتكمن أهمية الدراسة في أنَّها تناولت أهمية الدور الذي لعبه أهل الذمة في تاريخ مصر في هذه الفترة في النواحي الفكرية، والاجتماعية، والدينية، فأسندت إليهم مختلف الوظائف المهمة في الدولة، وتحت مظلة التسامح الديني، قام أهل الذمة بدور مهم في مختلف الأنشطة.

فكان أهل الذمة بمثابة طبقة اجتماعية متميزة عاشت في قرى ومدن مصر، كما كان كبار رجال الدين قد تمتَّعوا بمكانة اجتماعية مهمة، إذ امتلكوا الثروات والقصور الفخمة، واشتهروا بالثراء فحازوا على الألقاب ومنحوهم الهدايا، فالعلاقات كانت طيبة بين الخلفاء والطوائف الدينية من أهل الذمة، فالخليفة المعز بموجب كتاب الأمان الذي كتبه جوهر الصقلي نيابة عن المعز لأهل مصر أمن فيه أهل الذمة على أموالهم ورباعهم وضياعهم، ولم تتعرَّض لأي ضرر وانطبق الحال في عهد الخليفة العزيز، وإذا كانت قد تعرَّضت فيما بعد الكنائس والأديرة للهدم والسلب، فلم تكن هذه سمة السياسة الدينية للخلفاء الفاطميين

الأوائل، بل كانت بمثابة قرارات استثنائية، سرعان ما تعهَّدت بعدها السلطات إلى التصريح بإصلاح الكنائس وتعميرها.

وينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية التي أولها: النشاط الفكري لأهل الذمة حيث تطرَّق إلى مؤلفات أهل الذمة باللغة العربية، حيث ألفت العديد من الكتب مثل كتاب سير الآباء البطاركة وغيره، وتحدث عن أبرز المؤلفين مثل يعقوب بن كلس، وأبي زكريا بن أبي طالب، حيث اهتموا بدراسة الفقه والنحو والأدب، واتخذوا من بيوتهم مكاناً للعمل وداراً للسكن، أمَّا المبحث الثاني المعنون بالنشاط الاجتماعي فقد تناول لباس أهل الذمة وأماكن إقامتهم، حيث فرضت قيوداً شديدة حيال لباس أهل الذمة، والغرض من ذلك تميزهم عن المسلمين وعدم التشبه بهم، كما تطرَّق لمكان سكنهم، حيث المعلومات شحيحة بخصوص ذلك، ولم يسمح لأهل الذمة بسكن القاهرة إلا لاحقاً لأنَّها مقراً للخليفة وأتباعه.

وتحدث المبحث الثالث عن الناحية الدينية لأهل الذمة حيث تناول أعياد أهل الذمة فكان للنصارى أربعة عشر عيداً، كما كان لليهود أعياداً خاصة بهم، وفي الوقت ذاته لم يكن الخلفاء يسمحون لهم بالمبالغة في هذه الاحتفالات، وقد تصل العقوبة لمن يخالف ذلك إلى حد النفي وبعض الأحيان إلى الشنق.

أمَّا عن دخولهم الإسلام فكانت هناك حرية تامة من قبل الخلفاء حيال الموضوع، إلا أنَّ من الخلفاء من تشدَّد أمثال الحاكم فعندما ذكّره أهل الذمة بسياسة التسامح التي اتبعها الرسول الكريم (ﷺ) قال لهم: فليس لكم الآن عندي إلا اختيار واحد من اثنين، إمَّا اعتناق الإسلام، وإمَّا العقوبة العاجلة إذا أبيتم الدخول فيه.

Research Summary:

The dhimmis (Copts and Jews) played an important role in various intellectual, social, and religious activities. They were very active in the field of writing books in the Arabic language, so books increased, and their homes were a meeting place for scholars, writers, poets, and jurists.

The dhimmis had customs, traditions, feasts and celebrations of their own, and the Fatimid caliphs and the common people of the dhimmis participated in their feasts and religious celebrations, and they were allowed to build new churches and monasteries, destroy the old, and befriend monks in monasteries. The caliphs,

which made them provide great services to the BanuMulthm, and attention to their interests.

The importance of the study lies in the fact that it dealt with the importance of the role played by the dhimmis in the history of Egypt in this period in the intellectual, social, and religious aspects. It assigned them various important functions in the state, and under the umbrella of religious tolerance, the dhimmis played an important role in various activities.

The dhimmis were like a distinguished social class that lived in the villages and cities of Egypt, and the senior clerics had enjoyed an important social position, as they owned riches and luxurious palaces, and were famous for being rich, so they won titles and gave them gifts. Al-Mu'izz, according to the book of safety written by Jawhar Al-Siqilli on behalf of Al-Mu'izz for the people of Egypt, in which the dhimmis secured their money, their estate and their properties, and they were not exposed to any damage, and the case was applied during the era of the dear Caliph, and if the churches and monasteries were later subjected to demolition and looting, this was not the characteristic of religious policy The first Fatimid caliphs, rather, they were exceptional decisions, after which the authorities soon pledged to authorize the repair and reconstruction of churches.

The research is divided into three main sections, the first of which is: the intellectual activity of the dhimmis, where he touched on the writings of the dhimmis in the Arabic language, where she wrote many books such as the biography of the patriarchs and others, and he talked about the most prominent authors such as Jacob bin Kiss and Abu Zakaria bin Abi Talib, where they were interested in By studying jurisprudence, grammar, and literature, and they made their homes a place of work and a residence. As for the second topic, entitled social activity, it dealt with the clothing of the dhimmis and their places of residence, where severe restrictions were imposed on the dress of the dhimmis, and the purpose is to distinguish them from Muslims and not imitate them, as it touched on their place of residence. , as information is scarce regarding this, and the dhimmis were not allowed to reside in Cairo until later because it is the seat of the Caliph and his followers.

The third topic talked about the religious aspect of the dhimmis, as it dealt with the feasts of the dhimmis, and the Christians had fourteen feasts, and the Jews had their own feasts, and at the same time the caliphs did not allow them to exaggerate in these celebrations, and the punishment for those who violate this may reach the point of exile and sometimes to hanging.

As for their entry into Islam, there was complete freedom on the part of the Caliphs regarding the matter, except that among the Caliphs there were hardened ones like Al-Hakim. When the dhimmis reminded him of the policy of tolerance that the Holy Prophet (peace be upon him) followed, he said to them: Now to me you have no choice but one of two, either converting to Islam or either Urgent punishment if you refuse to enter it.

مقـدمة:

لعب أهل الذمة وبخاصة الأقباط دوراً مهماً في مختلف الأنشطة الفكرية والاجتماعية والدينية، فكان لهم نشاط فكري كبير في مجال تأليف الكتب باللغة العربية، وكان لهم عادات وتقاليد خاصة بهم فضلاً عن أعيادهم واحتفالاتهم الدينية، وقد شارك عامة الشعب المصري وخلفائه أهل الذمة في احتفالاتهم، وكان الخلفاء يسمحون لهم ببناء الكنائس والأديرة الجديدة وتدمير القديم منها ومصادقة الرهبان في الأديرة واتخاذهم للأديرة منتزهات لهم.

إلا أنَّ بعض الخلفاء الفاطميين فرضوا قيوداً على بعض الأعياد، وذلك لأسباب اجتماعية، فسياسية التسامح الديني معهم باستثناء عهد الحاكم بأمر الله أفاد هؤلاء في بناء علاقات جيدة مع الخلفاء، حيث سُمح لهم ببناء وتعمير وإصلاح الكنائس والأديرة، وإنْ كانت قد تعرضت للتدمير والنهب في بعض الأحيان، فكانت قرارات استثنائية لكن ما يلبث الخلفاء إلى العمل على إصلاح الكنائس وإعادة تعميرها.

فكانت سياسة الدولة الفاطمية الاعتماد الكبير على هؤلاء في مختلف الأنشطة فكان كثير من أهل الذمة يتمتع بمكانة كبيرة بين الخلفاء عن طريق العمل في هذه الأنشطة، ومن ثم يتمكنون من خدمة أبناء ملتهم في الدين والاهتمام بمصالحهم.

وتكمن أهمية الدراسة في أنَّها تناولت أهمية الدور الذي لعبه أهل الذمة في تاريخ مصر في هذه الفترة فكرياً واجتماعياً ودينياً، فأسندت لهم وظائف كبرى في الدولة.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز ما هو موجود في أمهات الكتب العربية والمراجع من خلال المنهج التاريخي القائم على جمع المعلومات من مصادرها الأصلية وصولاً إلى استخلاص النتائج، وقسمت الدراسة إلى المباحث التالية:.

المبحث الأول –النشاط الفكري لأهل الذمة:

كانت اللغة السائدة في مصر هي اللغة القبطية حيث كانت تستخدم في مختلف العلوم، ومع ذلك كانت اللغة العربية هي الأساس، حيث أُلفت في العهد الفاطمي العديد من الكتب باللغة العربية من قبل النصارى، فقد قام سايروس بن المقفع (أسقف الأشمونيين) بتأليف كتاب سير الآباء البطارقة في عهد الخليفة المعز، حيث قام بجمع الوثائق اليونانية والقبطية، ثم قام بترجمتها إلى اللغة العربية[1]، وكان الأسقف كاتباً في دواوين حكام الدولة، وتميز بكثرة مؤلفاته التي وصلت إلى عشرين كتاباً[2]، كما ألف سعيد بن البطريق تاريخه المعروف باللغة العربية وهو من أقدم تواريخ النصرانية وله كتب عدة باللغة العربية للرد على النساطرة واليعاقبة[3]، وهذا يؤكد انتشار اللغة العربية، فهي لغة ذات مكانة وسيادة، وقد استخدم اليهود اللغة العربية والعبرية، حيث كتبوا النثر والشعر بالعبرية إلا أنَّ أغلب النثر وقليل من الشعر كُتب باللغة العربية.

فشهدت الفترة نشاط علمي كبير وبخاصة فيما يتعلق بالفلسفة والعقيدة فكثرت المؤلفات[4]، كما برز يعقوب بن كلس اليهودي حيث اهتم بدراسة القرآن الكريم، ودرس على شيوخ الفقه والنحو، كما ولع بالطب في عهد كلٍ من المعز والعزيز فكان بيته مكاناً لاجتماع العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء، وكان يخصص يوماً في الأسبوع لذلك، وهناك مكاناً للنسَّاخين حيث يقومون بنسخ القرآن الكريم، ومجمل الكتب في الفقه والنحو والطب والأدب[5]، وقد اهتم بالشعر، فكان الشعراء ينشدون أشعارهم في حضرته وكان يغدق عليهم العطايا[6]، وقد ألَّف بن كلس عدة كتب في القراءات والأديان وآداب الرسول، حيث أكمل الأخير في خلافة العزيز بالله سنة 370هـ مؤلفاته حيث عُرف بالرسالة الوزيرية[7].

وقد اجتمع على تأليف هذا الكتاب أربعون فقيهًا، وكان ابن كلس يكافئ الوراقين والنساخين ومجلدي الدفاتر بمبلغ وقدره ألف دينار شهرياً[8]، حيث يقرأ ابن كلس على الناس هذه الرسالة (رأي الوزيرية) وهي متضمنة ما سمعه عن الخليفة المعز والخليفة عبد العزيز، حيث يأتي لسماعه الفقهاء والقضاة أكابر رجال الدولة[9]، وخصص لطلابه داراً للسكن

بجوار الأزهر وقدَّم لهم الطعام واللباس وكل وسائل الراحة[10]، وكان كل يوم في الأسبوع يقرأ في الجامع مؤلفاته أمام الفقهاء والقرَّاء وأصحاب الحديث والنحاة، وبفضل ابن كلس أصبح جامع الأزهر جامعة علمية وأعطى طلابها الأموال[11]، وابن كلس هو الذي أشار إلى الخليفة العزيز سنة 378هـ بتحويل جامع الأزهر إلى معهد للدراسة بعد أنْ كان مقصوراً على الدعوة الفاطمية وطلب منه أنْ يُعين بعض الفقهاء للقراءة والتدريس فوافق العزيز على ذلك، وأنْ يتم ذلك كل جمعة بعد الصلاة وحتى صلاة العصر، وقد منحهم الخليفة رواتب ثابتة وداراً للسكن بجوار جامع الأزهر[12]، وكان عدد هؤلاء الفقهاء خمسة وثلاثين فقهياً[13].

ويذكر أحد الباحثين أنَّ الحلقات التي يقوم بها هي مجالس جامعية حقيقية وتختلف عن مجالس ابن النعمان وتوصف بأنّها مجالس محايدة لا تتأثر بالصبغة المذهبية[14]، ودائماً ما يذكر ابن كلس بيهوديته فكان ذلك دافعاً له للإقبال على دراسة أمور الدين[15]، وقف ابن كلس موقفاً متشدداً إزاء العلماء وللمؤلفات التي لا تنح نحواً شيعياً وكل من يعارض ذلك مصيره الموت أو الإعدام وتحرق مؤلفاتهم أو تهمل، وكان هدفه من ذلك حماية الفقه الشيعي[16].

وعندما توفى ابن كلس ترك مكتبة احتوت على مئتي ألف كتاب، هذا عدا كتب أخرى[17]، ثم نقلت مكتبته إلى مكتبة القصر الفاطمي حتى يتم الاستفادة منها، ويذكر أنَّ كل مؤلفاته فقدت ولم يبق منها إلا كتاب دعائم الإسلام والرسالة الوزيرية في مختصر الفقه، وقد طلبها الظاهر لإعزاز دين الله من الناس، وتم تحقيقها وكان القضاة يصدرون أحكامهم عن طريقها[18]، ويذكر المقريزي أنَّ الظاهر أمر الدعاة أنْ يحفظوا الناس كتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه، وأعطى لمن حفظ ذلك أموالاً، وذلك سنة 416هـ[19].

وبرز أبو الحسن بن أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري بعلوم الدين، وفي عهد الحاكم برز ابن أبي زكريا بن أبي غالب في علوم الدين والحديث حيث حفظ القرآن ونسخه بخطه وألف عدة كتب في مجال الدين والحديث[20].

وفي مجال الطب برز موسى بن العيزار كطبيب تخصص في صناعة العلاج وتركيب الأدوية، حيث ألَّف شراب الأصول شرح فيه علاج لأمراض عديدة، وصنع شراب التمرهندي للمعز، وذكر أنَّ له منافع عديدة[21].

كما اشتهر منصور بن مقشر النصراني كطبيب لولده الحاكم من بعده كما برز أبو يعقوب بن نسطاس طبيب الحاكم بأمر الله[22].

أمَّا في الأدب فقد ترجمت العديد من الكتب القبطية إلى اللغة العربية وجعل الخليفة الحاكم اللغة العربية بدلاً عن القبطية في دواوين الدولة وأعمالها الكتابية والحسابية، بل ومنع التحدث باللغة القبطية في البيوت والطرق، بل وأصدر عقوبة قطع اللسان لأي شخص يخالفه، فانتشرت اللغة العربية بين اليهود أكثر من النصارى؛ لأنَّ عدد اليهود قليل في مصر مقارنة بعدد النصارى فيقول المقدسي عن سكان مصر وأهل الذمة: "وعامة ذمته نصارى يقال لهم القبط ويهود قليل"[23]، ومع ذلك برز العديد من اليهود في مجال الأدب نذكر منهم سعيد بن يوسف الفيومي حيث ألَّف عدة كتب باللغة العربية، كما برزت اللهجة البحيرية، حيث أصبحت هي اللغة الرسمية في عهد البطريك ابنا خريستودورلس في عهد المستنصر بالله[24].

وقد جرت مناظرات بين القبط واليهود، ففي عهد الخليفة المعز حدثت مناظرة بين الطرفين بحضوره وبرز سايروس بن المقفع وكان كاتباً مشهوراً ثم نصب أسقفاً وألَّف ما يزيد عن عشرين كتاباً[25].

وهكذا كان لأهل الذمة في مصر نشاطهم الذي تميز بالاهتمام بالنحو والأدب والطب وغيره، واشتهر من بينهم كثير من المفكرين والكُتاب والأطباء.

كما نستخلص ممَّا تقدم أنَّ مصر أخرجت العديد من أهل الذمة المشهورين بنشاطهم الفكري في الأدب والعلم فأفادوا مصر في مختلف الميادين، فبرز العديد منهم في خدمة الخلفاء.

المبحث الثاني- النشاط الاجتماعي لأهل الذمة (لباسهم – سكنهم- أعيادهم وأثر الناحية الاجتماعية عليهم):

أولاً- لباسهم:

في سنة 362هـ/973م أصدر جوهر الصقلي في عهد المعز أمراً بأنْ يلبس اليهود الغيار[26] ولم يشمل الأمر النصارى وقد يكون لأنَّ جوهر لا يريد إزعاج النصارى لأنَّ عددهم كبير، ويعد عهد المعز عهداً شهد تسامحاً دينياً مع أهل الذمة[27]، في سنة 395هـ/1005م وضع الحاكم قيوداً متشددة بحق أهل الذمة، حيث أجبرهم على لبس الغيار،

وأنْ يضعوا زنانير[28] ذات ألوان يغلب عليها اللون الأسود حول أوساطهم وهو لون العباسيين، وأنْ يضعوا عمامة ذات لون أسود على الرؤوس[29].

فاليهود لبسوا العمائم السود[30]، وألبس النصارى لباس أزرق ذات علامة صفراء[31]، ومنع اليهود من الخروج في الشوارع دون غطاء الرأس[32].

فاللون الأسود هو شعار العباسيين، وهم عصاة في نظر الفاطميين[33].

ويذكر أنَّ الزنار لبسه اليهود كما حملوا خشباً ثقيلاً، أمَّا النصارى فيحملون صلباناً ثقيلة[34]، طول كل منها ذراع في ذراع ووزنه كان خمسة أرطال[35]، أمَّا اليهود فيعلِّقون قرامي خشبية في أعناقهم وزن كل منها خمسة أرطال، وتختم كل منها بخاتم مصنوع من الرصاص مكتوب عليه اسم الخليفة[36]، وقد كان الغرض من تمييز أهل الذمة عن المسلمين باللباس المحدد هو من أجل تشريعات سياسية أوحت بها ضرورات إدارية واجتماعية وعسكرية[37]، وعدم التشبه بالمسلمين[38] غير أنَّ أغلب أهل الذمة لم يطبِّقوا هذه الأوامر وخلعوا الغيار حتى يصبحوا كالمسلمين في لباسهم، وحتى لا يعرفهم أحد، غير أنَّ الخليفة الحاكم بأمر الله أصرَّ على ارتدائهم لهذه الألبسة[39].

وفي سنة 399هـ/1009م واصل الحاكم ضغوطاته على أهل الذمة، حيث شدَّد في لباس الغيار والزنار[40]، بل عاقب المخالفون بالضرب، وأصدر أوامر مشدَّدة وذلك سنة 400هـ/ 1010م وأمر بألا يدق الناقوس في مصر[41]، بل عاقب المخالفون بالضرب[42]، وفي عهده تم نزع كل الصلبان التي على قباب الكنائس، وأنْ تزال الصلبان من أيدي النصارى[43].

وتذكر ناريمان عبد الكريم أنَّه ما ينفي عن الحاكم قصده تحويلهم إلى الإسلام هو بقاء القبط في دواوينه وقصره محتفظين بديانتهم، ويمنحون الألقاب مثل المسلمين، وعندما أصدر أوامره بلبس الغيار فقد خيَّرهم بين الإسلام أو الهجرة[44].

منع الخليفة الحاكم بأمر الله أهل الذمة من ركوب الخيل، وأنْ يركبوا الحمير والبغال المسّرجة من الخشب ولها سيور سوداء[45]، وألا يستخدموا أحد من المسلمين أو يشتروا عبداً أو جارية مسلمة، ومنع التجار أنْ يركبوا أحد منهم في سفينة وأمر النصارى أثناء دخولهم الحمام بحمل الصلبان، أمَّا اليهود فيحملون الأجراس، ثم أصدر أوامره بإقامة حمامات خاصة منفردة لكل من النصارى واليهود حتى لا يدخلوا حمامات المسلمين[46]، وذلك بوضع

صليب خشب على حمام النصارى وقرمة خشب على حمام اليهود[47]، ومنع سفر الأساقفة إلى النوبة والحبشة أو حتى مراسلة حكامهم وملوكهم، إلا أنَّ الحاكم تراجع في أواخر عهده عن كل ذلك، واكتفى منهم بلبس الغيار[48]، أمَّا في عهد الظاهر فقد خفَّف الضغط على أهل الذمة من لبس الغيار واكتفى منهم بلبس الزنار والعمامة السوداء ورجع العديد من النصارى من بلاد الروم، ولم يتعرَّض لهم أحد واكتفوا منهم بأخذ الجزية[49].

ولمَّا كثرت الشكاوى ضد أهل الذمة أصدر الخليفة المستنصر أوامره سنة 444هـ/591هـ بإجبار أهل الذمة على لباس الغيار والزنانير وتغليف الدراهم الرصاص في أعناقهم مكتوب على الدراهم(ذمي)، وأنْ تجعل هذه الدراهم أيضاً في أعناق نسائهم في الحمامات ليعرفن بها[50]، فعمل بذلك على إذلالهم وإهانتهم والتضييق عليهم[51]، أمَّا عن لباس المرأة الذمية فكانت شبيهة بلباس المسلمات، حيث ارتدن الأردية وأغطية للرأس[52]، إلا أنَّ المرأة الذمية تختلف عن المسلمة، فالذمية تضع في عنقها دراهم رصاص مكتوب عليها ذمية، وتلبس الخفاف وهو مختلف الألوان، فالخف الأول لونه أسود، أمَّا الآخر فلونه أحمر[53]، لذلك منع الحاكم تقليد المرأة المسلمة في لبس النعال الخاص بها[54]، وجلجلاً في أرجلهن[55].

كما لبست الإزار، فالمرأة النصرانية لونه أزرق، أمَّا اليهودية فلونه أصفر، وكان يشد الإزار بحزام أوزنار[56]، وكانت تلبس في رجلها السرموزة[*]، وقد أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أنْ تكون واحدة لونها أحمر والأخرى أسود، كما منع المرأة الذمية من ارتداء النعال وخص بذلك النساء المسلمات فقط[57]، وارتدين النقاب إذ لم يقتصر على المرأة المسلمة[58]، وكان الخلفاء الفاطميون يمنحون الموظفين من أهل الذمة وزوجاتهم ملابس مميزة، والتي منها الخلعة[59].

ولا يعني ذلك أنَّ المرأة الذمية كانت مقيَّدة، بل على العكس تماماً فقد مارست عملها اليومي والديني بكل حرية، ففي مجال عملها فقد كانت المرأة الذمية وبخاصة اليهودية تعلِّم النسوة فن التطريز والإبرة، وتشتغل في المدارس لتعليم التوراة، وعملت في مجال تصنيع الخبز وصنع المشروبات وبائعات العنبر والروائح والدقيق وغزل الصوف، وصبغ الحرير والملابس[60]، كما سمح للمرأة القبطية بممارسة عقيدتها بالذهاب إلى الكنيسة، ولكن بشرط عدم الاختلاط بالرجال وعدم الكلام أثناء الصلوات، وكن القبطيات يعملن داخل الأديرة حيث

يمارسن طقوسها الدينية، ويحيكن الملابس الدينية الخاصة بالموتى، كما سمح للمرأة اليهودية بالذهاب إلى المعبد لممارسة طقوسها الدينية(61).

أمَّا عن سكناهم فنلاحظ أنَّ المعلومات شحيحة جداً في هذا الموضوع فقد سكن اليهود في عهد المعز في حارات كثيرة مجاورة للسكة الحديدية(62).

وذكر ابن تغري بردي حارة اليهود في معرض حديثه عن الحارات(63) يعني أنَّ اليهود سكنوا هذه الحارات، هذا ولم يكن يسمح لليهود وغيرهم بالسكن في القاهرة إلا لاحقاً لأنَّها كانت مقراً للخليفة وأتباعه ولكن فيما بعد سمح لهم بسكن القاهرة والفسطاط وبخاصة التجار(64).

ويذكر أنَّ سكان أرض مصر أخلاط من الناس مختلفوا الأصناف والأجناس من قبط(65) والأقباط هم أقلية غنية قطنت الصعيد(66).

وفي عصر الحاكم سكن اليهود حي بالقرب من زويلة حتى يبعدهم عن المسلمين(67)، وأمرهم بعدم مخالطة المسلمين(68)، كما قام هذا الخليفة بإحراق حارة الجوذرية(*) التي يقطنها اليهود لأنَّهم يلتقون هناك ويتهكَّمون على المسلمين(69).

وكان أكثر اليهود يسكنون مدينة الفسطاط وفي القاهرة يبلغ عددهم سبعة آلاف يهودي، وثلاثة آلاف بالإسكندرية، وستمائة بالصعيد وكان عدد النصارى كبيراً في مصر، والدليل على كثرة الكنائس والأديرة هناك(70)، وكما تركَّزوا في الصعيد وقرى الفيوم(71)، وتركَّز الأقباط في المراكز التجارية والصناعية، فمدينة تنيس يقدَّر سكانها القبط بخمسين ألف نسمة، ويشكل القبط أكثرهم(72).

وسكن الأقباط مدينة دمياط وتقع مساكنهم على شاطئ البحر، وأكثر مدن الصعيد كأسيوط واخميم كان غالبيته من القبط؛ لأهمية هذه المدن صناعياً وتجارياً(73)، فالقبط يشكلون حوالي 1/3 من سكان إقليم مصر(74).

ونلاحظ أنَّه لم يتعرَّض لمعابد اليهود بأي سوء، حيث اجتمعوا في معابدهم في الفسطاط بحرية(75).

أمَّا عن أعياد أهل الذمة فكان للنصارى أربعة عشر عيداً يحتفلون بها، منها سبعة أعياد كبيرة، والأعياد السبعة الأخرى صغيرة(76).

كما كان لليهود أعياد يحتفلون بها[77] وقد شارك الخليفة العزيز أهل الذمة في الاحتفال بأعيادهم ومواسمهم الدينية، كما شارك الخلفاء أهل الذمة في احتفالاتهم[78]، فكان يحضر بطريرك النصارى ورئيس اليهود لتهنئة الخلفاء بالأعياد في القصر[79]، فكان لسياسة التسامح الديني التي اتبعها الفاطميون إزاء أهل الذمة أثرها الكبير عليهم كطبقة اجتماعية عاشت في المجتمع المصري، فكانوا من الطبقة العليا في المجتمع ذات الصلة الوثيقة بالخلفاء الفاطميين.

إلا أنَّ الخليفة الحاكم كان يمنع أهل الذمة من الاحتفال بالأعياد، حيث يرفض أنْ تزين كنائسهم في عيد الشعانين وقبض على من خالف أوامره، وأخذ كل ما هو معلَّق على الكنائس وأحرق صلبانهم على باب جامع الشرطة في الفسطاط[80]، كما أنَّ الخليفة المعز من قبله منع الاحتفال بعيد الغطاس، وقد تصل عقوبة من يخالف ذلك إلى الشنق، كما أنَّ الخليفة العزيز حذرهم من هذه الاحتفالات، ومن يخالف ذلك تكون عقوبته النفي.

هذا وأنَّ الخليفة الحاكم كان في بادئ الأمر يسمح بهذه الاحتفالات إلا أنَّه تراجع ومنعهم، وقد سمح الخليفة الظاهر لهم بالاحتفال بهذه الأعياد حتى في سنوات المجاعة، فعندما تعرضت البلاد عام 415هـ/1024م لفقر مدقع استمر الاحتفال وعندما رجع إلى قصره وجد الموتى في الطرقات فأمر بدفنهم[81]، كما رفض الحاكم أنْ يحتفل النصارى بعيد النوروز على شواطئ النيل ومنع الألعاب التي تقام فيه[82]، وكان يكثر في هذا العيد شرب الخمر علناً ولهذا منع الخليفة المعز من قبله الاحتفال به، وعندما تراجع المعز وسمح لهم بالاحتفال تمادوا في احتفالاتهم، حيث كانوا يحملون تمثالاً على هيئة فيل وعرائس ويقومون برش بعضهم بالمال وإشعال النيران واستمروا ثلاثة أيام، بعد ذلك منعهم الخليفة من الاحتفال وقام بحبس بعضهم شهراً، إلا أنَّه في عهد العزيز عادوا إلى الاحتفال[83].

وقام الحاكم بأمر الله بمنعهم من الاحتفال بعيد الصليب والغدير والشهيد[84]، فلم ير أحد منهم على شاطئ النيل[85]، وألغى الخليفة جميع الأحباس المرصودة على الكنائس والأديرة في كل أنحاء مصر ضمت إلى ديوان الخليفة[86]، ذلك أنَّ أهل الذمة بالغوا في الاحتفال بطقوسهم الدينية فأقاموا المآدب المترفة وبخاصة على ضفاف النيل والخليج، فكان ذلك سبباً جعل الحاكم يأمر بمنعهم والتضييق عليهم[87]، ويذكر أنَّ عدم احتفال بعض

الخلفاء بأعياد النصارى لأنَّ إسراف الناس في الشرب واللهو يضعف من هيبة الخلفاء أمام رعيتهم أو يطمع أعدائهم فيهم[88].

كما كان للنشاط الاجتماعي أثر كبير وملحوظ على أهل الذمة، وبالذات المشتغلين في الحكومة، فظهرت علامات العز والترف عليهم، فقد وصلت ثروة قزمان بن مينا عامل الخراج في فلسطين ما يفوق تسعين ألف دينار، وحاز ابن كلس على الكثير من القصور والأموال والإقطاعات، وبعد وفاته وجد أربعمائة ألف دينار من الجواهر وخمسمائة ألف دينار من الملابس والأواني والمركوب، ومن العبيد والغلمان أربعة ألاف وثمانمائة حضية[89]، ووصلت ثروة عيسى بن نسطورس إلى ثلاثمائة ألف دينار، وبلغ الراتب السنوي لفهد النصراني ستة آلاف دينار[90].

وأرسل الخليفة العزيز لاب كلس عندما رزق بولد صهداً من صندل مرصَّع وثلاثمائة ثوب وعشرة آلاف دينار وخمسة عشر فرساً وهدايا ثمينة[91]، وفي رسالة العزيز إلى طبيبه ابن مقشر ما يدل على المكانة المرموقة التي تمتع بها الطبيب عند الخليفة، كما أنَّ الحاكم زار ابن مقشر في مرضه ومنح أبنائه الأموال والعطايا بعد وفاته[92].

وبلغت ثروة أبي سعيد التستري مبلغاً كبيراً حيث كان على سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة زرع في كل منها شجرة كأنَّها حديقة[93]، وكان أبو المليح الملقَّب مماتي يمتلك أيام الغلاء في عهد المنتصر بالله قمحاً كثيراً، وكان يوزِّعه على فقراء المسلمين[94]، ونتيجة ذلك الثراء كان أهل الذمة يلبسون الملابس الفخمة ويركبون البغال ويمتطون الخيول[95]، وتحصَّلوا بذلك الألقاب تكريماً لهم فلقب ابن كلس بالوزير الأجل والشافي[96]، وابن عبدون منحه الحاكم لقب الكافي[97]، وعيسى بن نسطورس سيدنا الآجل[98]، وزرعة بن نسطورس بالأمير الظهير[99]، ومنح المستنصر صدقة بن يوسف الفلاحي بالوزير الآجل تاج الرئاسة فخر الملك ومصطفى أمير المؤمنين[100]، وأبو سعيد منصور بن زينور وزير المستنصر بالآجل الأوحد المكين السيد الأفضل[101]، وفهد إبراهيم بالرئيس[102]، فهذه الألقاب تشير إلى ازدياد نفوذهم واستعمال أمرهم وعلو مكانتهم الاجتماعية.

وما هو جدير بالملاحظة أنَّ موظفو الدولة من أهل الذمة كان يلبسون الثياب الفخمة كأثواب المسلمين[103].

المبحث الثالث – النشاط الديني لأهل الذمة:

أكَّد الخلفاء الفاطميون في مراسيمهم على توفير الأمن ذلك من كتاب الأمان الذي كتبه جوهر الصقلي نيابة عن المعز لأهل مصر، حيث ذكر تفاصيل الأمان ومن ضمنه أمان لأهل الذمة على أموالهم ورباعهم وضياعهم وقليلهم وكثيرهم(104)، ولما بنا جوهر القاهرة اضطر أنْ يهدم دير إلا أنَّه بنا ديراً أخرى يسمى تبدير الخندق(105)، وسمح المعز للبطريرك الثاني والستين أفرام السرياني ببناء كنيسة في الفسطاط والكنيسة المعلَّقة بقصر الشمع، وزوَّده بمال ورغم عرقلة الناس لعملية البناء تم بناء الكنيسة، بل وأمر المعز ببناء كنائس أخرى، كما لم تتعرَّض المعابد اليهودية لأي ضرر في عهد المعز والعزيز(106)، وفي عهد الخليفة العزيز ساد جو التسامح الديني مع أهل الذمة إلا أنَّه غيّر سياسته إذ تمادى هؤلاء في غيّهم لما كان بينه وبينهم من صلة النسب إذا كانت زوج العزيز مسيحية فقد جعلته متسامحاً مع أبناء جلدتها بل واحتفل بأعيادهم الدينية(107).

لكنَّ العزيز تشدَّد في ضرورة ألا يتراجع الذمي بعد إسلامه، فقد حدث أنَّ رجلاً جاوز الثمانين قد ارتد وسُلِّم هذا الرجل بأمر من الخليفة العزيز إلى والي الشرطة، حيث طلب القاضي منه إحضار أربعة شهود ليتوب، ويتحصَّل على مائة دينار، وإذا رفض يُقتل وهذا ما حدث للرجل الكبير حيث ألقي في النيل(108)، وكان يراقب أهل الذمة من خلال المحتسب وطبق الشروط التي سنَّها سيدنا عمر بن الخطاب وزاد فيها(109)، وأجبر الخليفة الحاكم أهل الذمة على الدخول في الإسلام أو مغادرة البلاد إلى بلاد الروم أو الحبشة أو النوبة، وأمام هذا الضغط اضطر هؤلاء إلى اعتناق الإسلام مكرهين(110)، كما منع الأحباس المرصودة للكنائس والأديرة وضمها إلى الديوان السلطاني(111)، وأحرقت صلبان كثيرة على أبواب الجوامع وفي دار الشرطة وهدم كنيسة اليعاقبة ثم كنيسة القيامة فيما بعد، والسبب في ذلك أنَّ الحاكم بأمر الله لفت نظره كثرة اتجاه النصارى من مصر إلى القدس لحضور عيد الفصح، وكانوا يحملون معهم الأموال والثياب باهظة الثمن والأواني الذهبية والفضية والقناديل والصلبان المصنوعة من الذهب والفضة وإشعال النيران، وكأنَّها نزلت من السماء فأنكر الحاكم ذلك فأمر بهدم كنيسة القيامة، وأنْ ينهبها الناس حتى يختفي أثرها، وهدم كنيستان بالقرب من جامع راشدة(112)، كما هدم سنة 400هـ دير القصير بالمقطم حيث كان يأتي لهذا الدير بطريق الاسكندرية وقد نهب جميع ما فيه(113).

وبنا الحاكم على كل كنيسة مسجداً طويل البناء يعلو تلك الكنيسة، وأنْ يُعمل ذلك في جميع أنحاء مصر[114]، وهدم كنيسة مرقص سنة 394هـ وبنا مكانها مسجداً[115].

ويذكر أنَّ الحاكم طلب إحضار عشرة من موظفي الدواوين والأقباط، منهم أبو نجاح وفهد بن إبراهيم حيث عرض عليهم الدخول في الإسلام فدخل أربعة منهم، وفي تلك الليلة مات أحدهم ورجع الثلاثة إلى دينهم عندما انتهت أساليب العذاب، كما اعتقل الحاكم بأمر الله الكاتب بقيرة الرشيدي؛ لأنَّه رفض اعتناق الإسلام، بل وترك عمله في الديوان لمَّا أصّر بقيرة على موقفه، رغم العذاب الذي لحق به أطلق الحاكم سراحه وأمر ألا يتعرَّض له أحد في بيع أو شراء أو أي شيء آخر، هذا وأنَّ مجموعة من القبط واليهود تكلموا مع الحاكم بشأن سياسته وذكروه بأنَّه مختلف عن سياسة النبي والخلفاء، فذكر لهم أنَّ سياسة من سبقه لم تُؤتِ أكلها وقال لهم: "فليس لكم عندي إلا اختيار واحد من اثنين إمَّا اعتناق الإسلام وإمَّا العقوبة العاجلة إذا أبيتم الدخول فيه[116].

فكان دخول أهل الذمة إلى الإسلام هرباً من دفع الجزية فضلاً عن أطماعهم في الحصول على وظائف كبرى في الدولة، أو الحصول على عطايا من الخلفاء، إلا أنَّ عدداً كبيراً منهم دخل الإسلام بسبب تعاليمه السمحة[117] خفَّف الحاكم بأمر الله سنة 411هـ/1020م ضغوطه الكبيرة على النصارى حيث منحهم حرية تامة في إقامة شعارهم الدينية وأرجع ما أخذه من أحباس الكنائس والأديرة وأمر بتجديد الكنائس المخربة ونتيجة لذلك ارتد معظمهم[118].

ويذكر أنَّه ارتد سبعة آلاف يهودي[119]، خوفاً على دينهم القديم[120] منهم الراهب يمين وطلب من الحاكم أنْ يسمح له ببناء دير مرقوريوس فسمح له، وبفضل علاقة هذا الطبيب الطيبة بالخليفة تحسَّنت أحوال اليهود كثيراً[121]، وأصدر كتاباً أعطى بموجبه الآمان للذميين على غرار الكتاب الذي أصدره جوهر الصقلي لأهالي مصر[122]، حيث أطلق حرية إقامة الشعائر الدينية لأهل الذمة وردّ ما أخذ من أوقاف الكنائس والأديرة، وسمح بتجديد الكنائس[123] هذا وعندما سمح لهم الحاكم بالارتداد قال: "تنزِّه مساجدنا عمَّن لا نية له في الإسلام"[124]، فقد وجد منهم من يشارك النصارى في الصلاة والتقديس وأخذ القرابين [125].

ويذكر أنَّ سبب تراجع الحاكم عن قراراته هو تأثير كل من رئيس دير طور سيناء الأنبا سلمون والراهب النصراني سليمان بن إبراهيم، عليه فقد سمح لابن إبراهيم ببناء دير

وكان الحاكم يتردد عليه، إضافة إلى إعجاب الحاكم بالدين المسيحي إلا أنَّ السبب الأبرز هو خوف الخليفة من غضب الدول النصرانية من تصرفاته إزاء أهل الذمة لأنَّه اجتمع كل من ملك الحبشة وملك النوبة حول وضع النصارى في مصر، إضافة إلى أنَّ الإمبراطور البيزنطي وأوروبا بصفة عامة مستاءة جداً من تهديم الحاكم لكنيسة القيامة، الأمر الذي قد يصل إلى حرب ضد الفاطميين[126]، وبموجب ذلك خاف الحاكم على وضع المسلمين في أراضي النصارى بأنْ يعاملوا بالمثل وتهدُّم المساجد هناك[127] وقد أدَّت سياسة الحاكم العنيفة إزاء أهل الذمة إلى الأضرار بتجارة الفاطميين مع بيزنطة حيث قطع باسيل في سنة 406هـ/1015م جميع علاقته التجارية مع الفاطميين[128].

هذا وأنَّ أهل الذمة تمادوا في تصرفاتهم حيث اشتروا الأرزاق وعاشوا عيشة هنية، وتم بناء الأديرة والكنائس في حين تقلَّص نفوذ المسلمين[129]، فضلاً عن تسلطهم وخاصة في عهد العزيز وتمكُّنهم من السيطرة على مفاصل الدولة، وزد على ذلك أنَّ السبب في تصرفات الحاكم القاسية إزاء أهل الذمة وبخاصة الطائفة المكانية نتيجة للحرب بينه وبين الروم إضافة إلى إبعاد التهم عنه على أساس أنَّه يُحابى الطائفة الملكانية بسبب أخته ست الملك ابنة السيدة النصرانية[130].

أمَّا اليهود فلم يتعرض لمعابدهم بأي ضرر إلا يهود حارة الجوديرية؛ لأنَّهم يسخرون من المسلمين فأحرقها الحاكم، كما ذكرنا سابقاً إلا أنَّ الحال اختلف كثيراً في عهد الظاهر الذي كتب سجلاً تمت قراءاته أمام حضور المصريين وضح فيه أنَّ الدخول في الإسلام ليس بالكره، وأنَّ من أراد البقاء على دينه فعلى الخليفة حمايته ورعايته، ومن أراد الدخول في الإسلام فله الحرية عن قناعة تامة[131] وعلى هذا النحو عومل أهل الذمة معاملة حسنة فتحصل هؤلاء على مناصب هامة وبخاصة منصب الوزارة[132]، كما قام بترميم كنيسة القيامة مقابل إعادة إعمار مسجد القسطنطينية[133] وقد ارتد إلى النصرانية الكثير ممَّن أسلموا كرهاً في عهد الحاكم[134].

هذا ودخل العديد من أهل الذمة الإسلام في عهد المستنصر وتحصَّلوا على وظائف عليا، وقد اعتنق اليهودي أبو منصور صدقة الفلاحي الإسلام ونال منصب الوزارة، وكذلك دخل الإسلام النصراني أبو سعد منصور (ابن زنبور)، والكاتب أبو شاكر الاسكندراني الذي أخذ بستان دير مادي يوحنا المعداني، وجعله مسجداً بعد أنْ طرد الرهبان الذين يجتمعون

هناك[135]، واستقبل المستنصر البطرق القبطي عند توليه مهامه الدينية استقبالاً رسمياً في قصره، وأيضاً قام هذا الخليفة بإعادة بناء كنيسة القيامة أي بعد ثلاثين سنة [136].

وقد ذكر أنَّ أهل الذمة في مصر على اختلاف مذاهبهم وأديانهم لاقوا حرية في أداء الشعائر الدينية، وقد استعان بهم الفاطميون في مختلف الوظائف الحكومية إلا أنَّ أهل الذمة خصوا أبناء ملتهم بالوظائف، وأبعدوا المسلمين عنها فولَّد الحقد عليهم فتعكَّرت الصفوة بينهم فأدَّى ذلك إلى تدخُّل الحكام كما لاحظنا ما قام به الحاكم من حملة عنيفة ضدهم[137].

وقد انتهز أهل الذمة حسن المعاملة التي خصها بهم الحكام والحرية التي منحوها إياهم، فأظهروا شعائرهم الدينية، وبخاصة في الأعياد الدينية في جلبة وضوضاء، وقد شاب تلك الأعياد الفساد والانحلال والمجون، ممَّا دعا الخلفاء الفاطميين فرض القيود على بعض هذه الأعياد الدينية.

الخاتمة:

نخلص ممَّا سبق إلى أنَّ أهل الذمة لعبوا دوراً مهماً في كافة الأنشطة الفكرية والاجتماعية والدينية في العصر الفاطمي الأول، فكان لهم نشاط فكري، حيث أخذوا على عاتقهم تأليف الكتب وبرز منهم ساويرس بن المقفع وبن كلس ومنصور بن مقشر وغيرهم فقد ألفت الكتب في مختلف العلوم في الفقه والنحو والطب والأدب وقد تم تشجعيهم وتوفير الأموال لذلك من قبل خلفاء بني عبيد، أمَّا فيما يتعلق بالنشاط الاجتماعي لأهل الذمة فقد جرى التضييق عليهم في لباسهم وأعيادهم وذلك لأنَّهم تمادوا في احتفالاتهم وأرادوا التشبه بالمسلمين فأصدرت الدولة عدة بنود على أهل الذمة التقيد بها حيث أمروا بلباس معين وجرى منعهم من الاحتفالات لأنَّها أضعفت من هيبة الحكام أمام رعيتهم، أمَّا عن نشاطهم الديني فقد لقي أهل الذمة جانباً من التسامح الديني واعتبر العصر الفاطمي العصر الذهبي لهم حيث أصدر المعز مرسوماً أعطى فيه الأمان لهم على أموالهم ورباعهم وضياعهم وقليلهم وكثيرهم، كذلك تسامح معهم الخليفة العزيز لأنَّ زوجه مسيحية تعاطفت مع أبناء جلدتها، إلا أنَّه ما لبث أنْ تراجع لمَّا تمادى أهل الذمة على المسلمين وتمت معاملتهم معاملة قاسية، وجرى التضييق عليهم أكثر في عهد الحاكم بأمر الله حيث أحرقت صلبانهم ودمرت كنائسهم إلا أنَّه سرعان ما تراجع عن قراراته بسبب ضغط الامبراطور البيزنطي وأوروبا عليه، إضافة إلى خوفه أنْ يعامل المسلمين بنفس الكيفية وخاف أنْ تهدم المساجد

في أراضي النصارى إلا أنَّ الأمر اختلف في عهد الظاهر والمستنصر حيث تركت لهم الحرية في اعتناق الإسلام ورممت كنائسهم ومارسوا طقوسهم الدينية بكل حرية، وما هو جدير بالذكر أنَّ المعاملة القاسية التي عانى منها أهل الذمة هي نتيجة تصرفاتهم إزاء المسلمين حيث حازوا على الوظائف العليا في الدولة وانحازوا إلى أبناء ملتهم وأبعدوا المسلمين عنها وعاملوهم معاملة سيئة بسبب أعمال الابتزاز والمحاباة التي عانوها من موظفي المال النصارى، ونالوا الألقاب وامتلكوا الثروات، من هنا جرى التضييق عليهم و إهانتهم ومنعهم من الاحتفال بالأعياد والتقيد بلباس محدد.

كما أنَّ أهل الذمة ساهموا مساهمة فاعلة في مختلف الأنشطة الفكرية، والاجتماعية والدينية، وشكلوا طبقة اجتماعية انتشرت بينهم اللغة العربية، وبخاصة بعد تعريب الدواوين، وامتلكوا ثروات وقصور فارهة، إلا أنَّ استكبارهم على المسلمين ساهم في كراهيتهم والاستياء منهم، وبالتالي تضييق الخناق عليهم من قبل الخلفاء الفاطميين، فالخليفة الحاكم ألزمهم بشد الزنار ولبس الغيار، وممَّا يكن فهذه المضايقات تبدو شكلية تتضمن إلزامهم بعدم التشبه بالمسلمين في لباسهم وركوبهم، ومنعهم من ممارسة طقوسهم الدينية علانية، إلا أنَّهم في كثير من الأحيان كانوا يتمتعون بكامل حريتهم الدينية، وكثيراً ما يقدم الأموال لرهبان الأديرة للإنفاق على عمارة أديرتهم.

فكانت العلاقة طيبة بين أهل الذمة والخلفاء الفاطميين، حيث أنَّ معظمهم أصدروا منشورات الآمان المتتالية، فتمتع هؤلاء بقسط وافر من الآمان الذي يجعلهم يقومون بدور مهم في مجالات عدة ويبدعون فيها، فعاشوا عيشة هنية، وحتى تصرفات بعض الخلفاء رغم قسوتها إلا أنَّهم كانوا يبغون أنْ لا تضعف أمام الرعية، أو يكونوا محل مطمع من أعدائهم.

هوامش البحث:

1. عامر، فاطمة مصطفى، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2000، القاهرة، ج2، ص 210.
2. سايروس بن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، تحقيق: عبد المسيح وسوردل وبرمستمر، مطبعة مصر 1948م، م2-ج2، ص 109.
3. عامر، فاطمة مصطفى، مرجع سابق، ص 210.

4. قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003، ص 35، 36.
5. ابن تغري بردي، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج4، ص 161.
6. المقريزي، تقي الدين أحمد، الخطط المقريزية، مطبعة النيل، 1326هـ، ج4، ص 49، عارف تامر، المعز الدين الفاطمي، ط1، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص 211.
7. حسن إبراهيم حسين، الفاطميون في مصر، راجع الترجمة: محمد أفندي وزميله، المطبعة الأميزية، القاهرة، 1932، ص 135.
8. الأنطاكي، يحيى بن سعيد، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة أونيخا، حققه ووضع فهارسه عمر تدمري جروس برس، طرابلس، لبنان، 1995، ص 202.
9. محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ص154.
10. المقريزي، تقي الدين، الخطط المقريزية، ج4، ص 49 – دعكور عرب حسين، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم، منتدى سور الأزبكية، بيروت، 2010، ص 124.
11. حسين محمد كمال، في أدب مصر الفاطمية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1950، ص 56، 57.
12. حسن علي إبراهيم، تاريخ جوهر الصقلي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1463، ص 120.
13. المقريزي، الخطط المقريزية، ج4، ص 49– أحمد عبد الرزاق حسين، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 181.
14. أحمد حسين خضيري، علامات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ط1، مكتبة مدبولي،القاهرة، 1996، ص 163.
15. حسين محمد كمال، مصدر سابق، ص 56.

16. ابن القفطي جمال الدين، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضح حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص286.
17. حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 135.
18. المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 176.
19. المقريزي، الخطط المقريزية، المصدر السابق، ج2، ج4، ص 49، دعكور عرب حسين، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم، منتدى سور الأزبكية، بيروت، 2010 ص176.
20. الخطط المقريزية، تحقيق محمد حلمي، مصدر سابق، ص 175.
21. عامر فاطمة، مرجع سابق، ص 136.
22. ابن القفطي، مصدر سابق، ص 330.
23. عنان محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، 1983، ص 364.
24. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل ليدن المحروسة، الاسكندرية، 1904، ص 202.
25. عامر فاطمة، مرجع سابق، ص 214، 220.
26. ابن المقفع سايروس، مصدر سابق، ص 109، 110.
27. الغيار: علامة أهل الذمة كالزنار للمجوس، ينظر: بطرس البستاني، قاموس مطول باللغة العربية، تحميل على النت www.archive.orgpdf، ص 671.
28. المقريزي تقي الدين أحمد، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ترجمة: جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة 1996، ج1، ص 132.
29. سلطان عبد المنعم، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، 1999م، ص 90.
30. المقريزي تقي الدين أحمد، مصدر سابق، ص371-382 – طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر 2007م، ص 272.

31. ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج4، ص 178، ويذكر ابن سعيد أن اليهود لبسوا عمائم لها علامة صفراء، ينظر: النجوم الزاهرة في حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب 1970، ص 28، ويذكر ابن حماد أنَّهم لبسوا الطيالسة السودة، ينظر: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة التهامي نقرة وزميله عالم الصحوة للنشر، دار العدالة القاهرة (د. ن) ص 99.
32. قاسم عبده، اليهود في مصر، دار الكتب العلمية، القاهرة، ص 89.
33. شيخ العبد، عماد محمد بحث (حقوق الإنسان في مصر في العصر الفاطمي)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الدكتور غسان مسعود أوشاح، كلية الآداب قسم التاريخ الجامعة الإسلامية، غزة، 10-6-2014، ص 122.
34. المقريزي، اتعاظ الخنفا، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة 1996، ج2، ص 53، عنان محمد عبد الله، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1931، ص 136.
35. الدواداري، أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر الذرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة 1961م، ج6، ص 260 ،كما أن الصلبان كانت شبراً وجعلها الحاكم ذراعاً وختمها بالرصاص، ينظر: أحمد ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1996، ص67.
36. الدواداري، أبو بكر بن عبد الله، المصدر السابق، ص 286، 287، ابن تغري بردي المصدر السابق، ج4، ص 179، وذكر أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي أربعة أرطال، ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2، دار المسيرة بيروت 1979، ج3، ص 50، المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص 383، ابن حماد المصدر السابق، ص 99.
37. ويذكر المقريزي إن هدف الحاكم هو إهانتهم والتضييق عليهم، المصدر السابق، ج1، ص 383، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج4، ص 179، أيوب رزق الله ابراهيم، مرجع السابق، ص 182.

38. سليمان، سمير عبد الله، الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006، ص 278، 295.
39. أحمد ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين، مرجع سابق، ص 67.
40. طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا وبلاد الشام، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص 173 .
41. أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007، ص 166.
42. طقوش محمد سهيل، مرجع سابق، ص 173.
43. عنان محمد، مرجع سابق، ص 138.
44. أيمن فؤاد سيد، مرجع سابق، ص 166.
45. أحمد ناريمان، معاملة غير المسلمين، مصدر سابق، ص 98.
46. المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 382، المقريزي اتعاظ الخنفا، تحقيق: محمد حلمي، ص 94، الدواداري، مصدر سابق، ص 270، وساويرس، ابن المقفع، مصدر سابق، م2، ج1، ص 6.
47. المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص 387، ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج4، ص 178، 179، الدواداري، مصدر سابق، ص 270.
48. ابن حماد، مصدر سابق، ص 99، أيمن فؤاد، مرجع سابق، ص 166.
49. أحمد ناريمان، معاملة غير المسلمين، ص 67، 98.
50. الأنطاكي، مصدر سابق، ص 375، 376.
51. سلطان عبد المنعم، مرجع سابق، ص 103.
52. المقريزي، اتعاظ الخنفا، تحقيق: محمد حلمي، مرجع سابق، ج2، ص 94.
53. أحمد ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين، مصدر سابق، ص 78.
54. سلطان عبد المنعم، مصدر سابق، ص 103.

(*) الجلجلة: التحريك وشدة الصوت، والجُلْجلُ بالضم الجرس الصغير، ينظر: الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، نسخة منقحة وعليها تعليقات أبو الوفا نصر، راجعه واعتنى به/ أنس الشامي وزميله، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 288.

55.أحمد ناريمان عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي، ص 160.

56.سلطان عبد المنعم، مرجع سابق، ص 103.

57.أحمد ناريمان عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي، مصدر سابق، ص 160.

(*) السرموزة: لفظ فارسي يعني رأس الخف، ينظر: المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص 105.

58. أحمد ناريمان عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي، ص 160، 168.

59. المرجع نفسه، ص 160.

60. أحمد ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين، ص 68.

61. ناريمان أحمد عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي، ص 80، 81.

62. ناريمان أحمد عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 188.

63. مبارك علي، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط1، المكتبة الأميرية بولاق، مصر، 1306، ج1، ص 11.

64. عبده قاسم، مرجع سابق، ص 109.

65. المقريزي، الخطط المقريزية، مصدر سابق، ج1، ص 47.

66. غرس الدين خليل، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس راويتس، طبعة باريس، المطبعة الجمهورية 1893، ص 33.

67. طقوش محمد سهيل، مرجع سابق، ص 274.

68. أحمد ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين، مرجع سابق، ص 152.

(*) الجوذرية: نسبة إلى إحدى طوائف العسكر في عهد الحاكم بأمر الله، ينظر: المقريزي، الخطط، ج4، ص 376.

69. أيمن فؤاد، مرجع سابق، ص 166.

70. أحمد ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين، ص 152.

71. غرس الدين خليل، مصدر سابق، ص 33.

72. علوي ناصري خسرو، سفرمانة نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه يحيى الخشاب، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945، ص 29.

73. زكي سعيد حسن، كنوز الفاطميين، القاهرة 1937، ص 116.

74. عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص 290.
75. أحمد ناريمان عبد الكريم، مرجع سابق، ص 98.
76. المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 363، المقدسي، مصدر سابق، ص 182، سلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص 167.
77. رمضان هويدا عبد العظيم، المجتمع في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994، القاهرة، ج2، ص69.
78. دعكوز، عرب، حسين، مرجع سابق، ص 54.
79. سلطان عبد المنعم، مرجع سابق، ص 107.
80. المقريزي الخطط المقريزية، مصدر سابق، ج1، ص 368، المقريزي اتعاظ الخنفا، ج2، تحقيق: محمد حلمي، القاهرة، 1996، ص 71، أحمد السيد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، أسباب ونتائج، ط1، درا التضامن للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1988، ص 38.
81. المقريزي، الخطط المقريزية ، ج2، ص 163.
82. المقريزي، اتعاظ الخنفا، المصدر نفسه، ج1، ص 224.
83. المقريزي،اتعاظ الخنفا مصدر سابق، ج1، ص 224.
84. المقريزي، الخطط المقريزية، مصدر سابق، تحقيق: جمال الشيال ، ج1، ص 368، المقريزي اتعاظ الخنفا، ج2، تحقيق: محمد حلمي، القاهرة، 1996، ص 79، 89.
85. شيخ عبد عماد، رسالة ماجستير سابقة، ص 121.
86. جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 83.
87. المقريزي، اتعاظ الخنفا، تحقيق: محمد حلمي، ج2 ،ص 191.
88. المناوي، محمد حمدي، مرجع سابق، ص 263، 266.
89. المقريزي، اتعاظ الخنفا ، تحقيق: محمد حلمي، ج2 ،ص 14.
90. المقريزي، الخطط، ج1، ص 366.
91. المقريزي، اتعاظ الخنفا ، ج1، ص 274..
92. أحمد ناريمان عبد الكريم، مرجع سابق، ص 73.
93. محمود سلام، مرجع سابق، ص 244.

94. محمد جمال سرور، مرجع سابق، ص 82.
95. عامر فاطمة، مرجع سابق، 122.
96. أحمد ناريمان عبد الكريم، مرجع سابق، ص 66.
97. الدواداري، مصدر سابق، ص 225.
98. ابن القلاسي أبي يعلي حمزة، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908، ص 59.
99. المقريزي، الخطط المقريزية، مصدر سابق، ج1، ص 252.
100. ابن القفطي، جمال الدين أبي الحسن، مصدر سابق، ص 249– 338.
101. علوي ناصر خسرو، مصدر سابق، ص 64، 65.
102. المقريزي، اتعاظ الخنفا، ج2، ص 159.
103. المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص 266.
104. المقريزي، الخطط المقريزية، ج3، ص 246، عنان محمد عبد الله، مرجع سابق، ص 114.
105. المناوي محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر، ص 244.
106. ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 64.
107. أحمد ناريمان عبد الكريم، مرجع سابق، ص 66.
108. المقريزي تقي الدين، الأقباط، دراسة وتحقيق: عبد المجيد ذياب، دار الفضيلة، القاهرة، المقريزي، الخطط المقريزية، ج4، ص 37، ويذكر سايروس إن هناك عدة أسباب ساهمت في خروج النصارى عن دينهم هي حذر من ظهورهم بعلامة الصليب وضيق عليهم مذهبهم وأخرجهم من ديوان السلطان وجعل عوضاً عنهم المسلمين، ينظر: المصدر السابق، ص 6.
109. المقريزي، اتعاظ الخنفا، تحقيق: محمد حلمي، مصدر سابق، ج2، ص 48.
110. المقريزي، أتعاظالخنفا، ج2، ص 71.
111. الدواداري، مصدر سابق، ص 259 .
112. الدواداري، المصدر نفسه، ص 270.

113. عامر فاطمة، مرجع سابق، ص 195، 196.
114. المرجع نفسه، ص 113- 183 .
115. الدواداري، مصدر سابق، ص 298 .
116. عامر فاطمة مصطفى، مرجع سابق، ص 197 .
117. دعكور، عرب حسين، مرجع سابق، ص 56 .
118. عامر فاطمة مصطفى، مرجع سابق، ص 197 .
119. دعكور، عرب حسين، مصدر سابق، ص 56 .
120. جمال الدين سرور، مصدر سابق، ص 83 .
121. الحنبلي أبي الفلاح بن العماد ،شذرات الذهب، ج3، ص 150 .
122. البطريرك افتيشيوس، سعيد بن بطريق، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، كتبه عيسى في معرفة التواريخ الكلية، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1905، بيروت، ص 228 .
123. أيمن فؤاد سيد، مرجع سابق، ص 166.
124. المقريزي، اتعاظ الخنفا، تحقيق: محمد حلمي، ج2، ص 75 .
125. أيمن فؤاد سيد، مرجع سابق، ص 166 .
126. المقريزي، الخطط، ج1، ص 370، 371 .
127. أحمد ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين، ص 66، 67 .
128. الأنطاكي، مصدر سابق، ص 280 .
129. دعكور، عرب حسين، مرجع سابق، ص 57 .
130. المقريزي، اتعاظ الخنفا، تحقيق: محمد حلمي، ج2، ص 176 .
131. المقريزي، الخطط، ج2، ص 360 .
132. أحمد ناريمان عبد الكريم، مرجع سابق، ص 101 .
133. عنان أحمد، مرجع سابق، ص 138 .
134. يذكر ابن القلانسي أنَّ نسطورس مال إلى النصارى فقلدهم الأعمال والدواوين وأبعد المسلمين، وجعل منسا بن إبراهيم فسلك مسلكه في الانحياز لليهود واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة، ينظر: المصدر السابق، ص 33 .

135. شيخ عبد عماد، رسالة ماجستير سابقة، ص 121 .

136. طقوش محمد سهيل، مرجع سابق، ص 274 .

137. المقريزي، اتعاظ الخنفا، ج1، ص 273.